

القرآن يصنع أمة أ. نويبة الصحفي



يقول الله تعالى : { إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً } .. [الإسراء 9] ، و قال تعالى : { ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر } .. [القمر : 17] .

و عنه صلى الله عليه وسلم : (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين) .. [رواه مسلم] ، و يقول عثمان بن عفان - رضي الله عنه :- (لو صلحت قلوبكم لما شبعتم من كتاب ربكم) .

ألا إن من أعظم نعم الله على الإنسان أن جعله مسلماً ، بل تزداد النعمة حينما أراد له أن يكون عربياً يتحدث بلغة القرآن منذ صغره ؛ يعيش في أسرة مسلمة ؛ يقرأ القرآن دون أدنى مشقة .

و تزداد الغبطة و البشرى، حينما يجد الإنسان نفسه في هذا البلد المعطاء بلد القرآن الكريم وسنة المصطفى صلى الله عليه و سلم و يجد من يعينه على تدبر كلام الخالق جل في علاه .

و كلنا على يقين أن رفعة هذه الأمة و عزها و علو شأنها في حفظها لكتاب ربها و العمل به فيتحقق لها الفلاح في الدنيا و الآخرة .

و لا شك أن القرآن إذا استقر في قلب الإنسان أخرج حياً آخر يحمل كل معاني الخير و المنفعة لنفسه و لغيره، ففي جوفه قلب موحد { واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً } ، و في قلبه للناس كل الخير و الإيثار و العفو و الصفح و الغفران { وقولوا للناس حسنى } ، و في عمله الإحسان و البر بالوالدين { واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً } ، فالقرآن يصنع أمة عظيمة ، أمة ليست في مهب الريح ؛ بل هي أقوى و أرسخ من كل جبال الأرض الشامخة و صخورها الصلبة ؛ و هي أمة باقية في علوها طالما أنها تحمل الحق الذي لا يقبل أنصاف الحلول و هو القرآن العظيم تحكمه في حياتها و إليه تحتكم ، فهذا هو الحق المطلق الذي يحق لنا أن نفاخر به و أن نعظم الناس به ، و أن نحافظ عليه حفاظنا على أنفسنا بل و أكثر من ذلك ، و أن لا يكون لدينا شيء في هذه الحياة أغلى و أئمن منه فهو صلتنا بالله جل جلاله ؛ هذه الصلة هي أعظم صلة في حياة المؤمن الذي عرف و أدرك ؛ و لذلك ففوة أمتنا و رفعتها و سموها متى ما أخذت بهذا القرآن : { إن تنصروا الله ينصركم } ، و ما تعب الناس و شقوا في هذه الحياة و أصابهم الكدر إلا عندما آثروا أفكار العقول التي لا تستنير بنور ربها و لا تستقي منه حكمها ، عقول مجردة عن الاستنارة بالقرآن ، واهية تعيش حياة التيه و الظلال و الحيرة فأصابهم الضيق و الكدر، و لم يعرفوا أين المسير، و لا مكان النور و الهداية ؛ لذلك نحن اليوم في نعمة غامرة و نحن نرى هذا الأثر العظيم لهذه الأمة التي تستمر و تواصل مسيرتها في نقل هذا القرآن الذي هو كلام الله تعالى لفئات المجتمع .

و لامجال للشك بأن القرآن الكريم أعظم و أفضل نعمة على وجه الأرض لمن حكّم عقله و فكّر بتوادة ، و أفضل منحة ربانية هي الثبات على دلالة القرآن و هديه و سنة نبيه - صلى الله عليه و سلم - ، و هنا يحق لنا و نحن في أوائل شهر رمضان المبارك أن نعقد العزم على حفظ كتابه الكريم و العمل به ففيه الخير كل الخير للأفراد و للأمة أجمع ، يكفينا في ذلك صلاح أمرنا و علاقتنا مع الله أولاً ثم مع العالم حولنا إضافة إلى بركة الوقت و التي نعاني منها كثيراً .

و يقع على عاتقنا مسؤولية عظيمة تجاه كتاب الله و تعهده بالتلاوة و التدبر ليس فقط نتعهد أنفسنا بل كل من حولنا بدءاً من الفرد و مروراً بالأسرة و منه إلى المجتمع بأكمله بعزم ينبغي أن يكون بروح إيجابية تشعر الآخرين بطيب النفس و حب الخير لهم ؛ هذه البداية تحتاج منا أن نسأل أنفسنا سؤالاً صريحاً .. من أي صنف نحن ؟ ، و ينبغي أن تمتاز الإجابة على هذا السؤال بالصدق مع النفس ؛ حتى تكون نقطة إنطلاقة إيمانية قوية صادقة في أفضل الشهور و أعظمها بركة و يالها من إنطلاقة في هذا البلد المبارك الذي أولى كتاب الله جل اهتمامه و يشرف لحفظه و تدبره كل السبل - اسأل الله أن يبارك فيه قيادة و شعباً وأن يحفظه من كل سوء و مكروه :-

و لايفوتني في هذا المقام أن أشيد بجمعية " ترتيل " لتحفيظ القرآن بمحافظة خليص و مراكزها و التي تشرفت بحضور حفلها الختامي في الأيام القليلة الماضية ، و حقيقةً مارأيت من اهتمام و رعاية و حرص أمر يدعو للفخر و يستحق الشكر جزاهم الله عنا خير الجزاء و زادهم فضلاً و رفعة ، فلا أعظم و لا أشرف من العناية بكتاب الله الكريم و العمل ليل نهار لخدمته و خدمة حفظة كتابه ، بقرآنا نرتقي و به ننافس الأمم ، كما أنه النور المبين الذي يهدينا سواء السبيل و يجعلنا في مقدمة الأمم و قادة البشرية ، و صلى الله و سلم و بآرك على نبينا محمد و آله و صحبه و سلم .

أ. نويبة الصحفي

[مشرفة العلوم الشرعية بمكتب تعليم خليص]